

سلسلة
كُنْ

كن رحيماً

منتدى اقرأ الثقافي

www.igra.afilamontada.com



منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلسلة كُنْ

٧

كُنْ رَحِيماً

إشراف
عاطف عبد الرشيد

إعداد
أسامة إبراهيم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَا أَعْظَمَ أَنْ يَتَحَلَّى الْمَرْءُ بِالرَّحْمَةِ، وَأَنْ يَنْأَى بِنَفْسِهِ
عَنِ الْقَسْوَةِ وَالشَّدَةِ فِي مُعَامَلَةِ أَقْرَانِهِ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ، فَذَلِكَ مِمَّا
يَغْرِسُ فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةُ بِمَخْلُوقَاتِ اللَّهِ كَافَةً.

وَالْمُسْلِمُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الَّذِي يَسْلَمُ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ
وِيَدِهِ. وَيَكْفِيهِ اللَّهُ إِذَا مَا تَحَلَّى بِخُلُقِ الرَّحْمَةِ يَكُونُ مُتَشَبِّهًا
بِرَبِّهِ الَّذِي كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، فَهُوَ - تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ -
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

وَمُتَشَبِّهًا بِالنَّبِيِّ ﷺ وَصَحَابَتِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ
اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].
وَقَالَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وَتَعَدَّدُ جَوَانِبُ الرَّحْمَةِ الَّتِي يَتَّبِعِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
التَّحَلِّيُ بِهَا؛ فَهُوَ رَحِيمٌ بِنَفْسِهِ، وَبِالنَّاسِ، وَبِالطَّيْرِ وَالْحَيَوَانَ،
وَبِالْجَمَادِ.

فَهِيََّا بِنَا نَتَعَلَّمُ سَوِيًّا كَيْفَ تَكُونُ رُحَمَاءَ مَعَ جَمِيعِ
الْمَخْلُوقَاتِ، حَتَّى يَعْمَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

كُنْ رَحِيمًا بِنَفْسِكَ

عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا بِنَفْسِهِ، فَلَا يُعَرِّضُهَا لِعَذَابِ النَّارِ، بَأَنْ يَتَّبِعَ عَنِ الذُّنُوبِ؛ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا، وَأَنْ يُسَارِعَ إِلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ إِذَا مَا دَعَتْهُ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ إِلَى ارْتِكَابِهَا.

يَقُولُ رَبَّنَا - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا هَانَتْ عَلَيْكَ نَفْسُكَ، كَانَتْ عَلَى النَّاسِ أَهْوَنَ. يَقُولُ الشَّاعِرُ:

فَنَفْسُكَ أَكْرَمُهَا فَإِنَّهَا إِنْ تَهِنَ عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَ لَهَا الدَّهْرَ مُكْرِمًا
وَمِنْ رَحْمَةِ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ أَلَّا يُحْمَلَهَا مَالًا تُطِيقُ، وَذَلِكَ
بِأَنْ يَرَعَى حَقَّ بَدَنِهِ وَنَفْسِهِ عَلَيْهِ. عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
"إِنْ لَبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا" [البخاري].

* وَهُنَاكَ عَوَامِلُ تُكَثِّرُ مِنْ رَحْمَةِ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ، مِنْهَا:

١ - الْإِيمَانُ بِاللَّهِ: هُوَ أَوَّلُ خُطْوَةٍ عَلَى طَرِيقِ رَحْمَةِ الْمَرءِ

بِنَفْسِهِ، فَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّارِ وَيَجْعَلُكَ مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ، وَتِلْكَ أَكْبَرُ دَرَجَاتِ رَحْمَةِ الْمَرءِ بِنَفْسِهِ.

وَإِذَا وَقَرَ الْإِيمَانُ بِقَلْبِ الْمَرءِ، عَاشَ حَيَاتُهُ سَعِيدًا هَانِئًا؛
لَأنَّ هَذَا الْإِيمَانُ يَجْعَلُهُ قَانِعًا بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ.

٢ - الثَّقَّةُ بِأَنَّ الرِّزْقَ بِيَدِ اللَّهِ : الْمُسْلِمُ يَرْحَمُ نَفْسَهُ
بِعَدَمِ إِجْهَادِهَا فِي الْجُرْيِ وَرَاءَ الدُّنْيَا وَمُغْرِبَاتِهَا، فَالرِّزْقُ بِيَدِ
اللَّهِ، وَهُوَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ: " إِنْ خُلِقَ أَحَدُكُمْ
يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ
يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ، فَيُؤَمِّرُهُ بِأَرْبَعِ
كَلِمَاتٍ، فَيَقُولُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَأَجَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ
سَعِيدٌ... " [متفق عليه].

٣ - عَدَمُ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ : عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَمَتَّعَ بِمَا
أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَتَرْفِيهِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَالْمَوْلَى
- عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ
الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفَصَّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

* * *

ثَمَارُ الرَّحْمَةِ بِالنَّفْسِ

١ - الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ : يَتَمَتَّعُ الْمَرْءُ الرَّحِيمُ بِنَفْسِهِ بِحَيَاةٍ هَانِيَةٍ طَيِّبَةٍ لَا تَسْتَحْذُ عَلَيْهِ مَشَاكِلُ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ. قَالَ تَعَالَى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِئَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل : ٩٧].

٢ - الرِّضَا بِالْعَيْشِ : إِنَّ كُلَّ رَحِيمٍ بِنَفْسِهِ يَكُونُ رَاضِيًا بِعَيْشِهِ ، قَانِعًا بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ. قَالَ ﷺ : " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرَزَقَ كَفَافًا وَقَتَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ " [مسلم وأحمد].

٣ - ثَوَابُ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ : يَحْظَى مَنْ رَحِمَ نَفْسَهُ بِطَاعَتِهِ لِلَّهِ وَعَمَلِهِ عَلَىٰ مَرْضَاتِهِ بِجَنَّاتِ الْخُلْدِ فِي الْآخِرَةِ. يَقُولُ رَبُّ الْعِزَّةِ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿٧٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ [الكهف : ١٠٧ - ١٠٨].

وَيَقُولُ أَيْضًا : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ٧٢].

كُنْ رَحِيمًا بِالنَّاسِ

يَكْتَمَلُ إِسْلَامُ الْمَرْءِ إِذَا أَصْبَحَ رَحِيمًا بِالنَّاسِ عَلَى
اِخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِمْ وَطَوَائِفِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ:

١ - الرَّحْمَةُ بِالْوَالِدَيْنِ : عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَرْحَمَ وَالِدَيْهِ،
فَهُمَا أَوْلَى النَّاسِ بِرَحْمَتِهِ، وَلَقَدْ حَثَّنَا الْقُرْآنُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:
﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ
قَالَ: " رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يَدْخُلَاهُ
الْجَنَّةَ " [الترمذي].

٢ - الرَّحْمَةُ بِالْأَبْنَاءِ : مِنْ رَحْمَةِ الْمُسْلِمِ بِأَبْنَائِهِ أَلَّا يُفَرِّقَ
بَيْنَ ذُكُورِهِمْ وَإِنَائِهِمْ، وَأَنْ يُحَسِّنَ تَرْبِيَّتَهُمْ وَرِعَايَتَهُمْ، وَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِنَا الْكَرِيمِ: " اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ "
[مسلم]. وَيَقُولُ الشَّاعِرُ أَحْمَدُ شَوْقِي فِي مَدْحِ الرَّسُولِ:

وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ هَذَا فِي الدُّنْيَا هُمَا الرَّحْمَاءُ
وَصَدَقَ الشَّاعِرُ إِذْ يَقُولُ:

وَلَدِي، وَهَلْ شَيْءٌ أَعَزُّ زُ عَلَيَّ مِنْكَ وَأَكْثَرُ
وَالْكُونُ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ زِيَادَةٌ لَا تُذَكَّرُ

٣ - الرَّحْمَةُ بِالصَّغِيرِ : الْأَطْفَالُ وَصِغَارُ السَّنِّ يَسْعَدُونَ بِرَحْمَةِ الْكِبَارِ، وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْ خِلَالِهِمْ كَيْفَ يَكُونُونَ رُحَمَاءَ عِنْدَمَا يَكْبُرُونَ. يُرَوَى أَنَّ امْرَأَةً سُئِلَتْ: أَيُّ الْأَوْلَادِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ فَقَالَتْ: " الْغَائِبُ حَتَّى يَرْجِعَ، وَالْمَرِيضُ حَتَّى يُشْفَى، وَالصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ. وَمِنْ رَحْمَتِهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ بُكَاءَ طِفْلٍ أَسْرَعَ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى تُسْرَعَ أُمُّهُ إِلَيْهِ.

٤ - الرَّحْمَةُ بِالْأَيْتَامِ : الْإِيْتَامُ هُمْ أَخْرُجُ فِتْنَةٍ فِي الْمَجْتَمَعِ إِلَى الرَّحْمَةِ بِهِمْ، وَالتَّقَرُّبِ بِالْخَيْرِ إِلَيْهِمْ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

وقَالَ ﷺ: " أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ (وَأُشَارَ بِإصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى) " [البخاري].

٥ - الرَّحْمَةُ بِالْخَدَمِ وَالْعَبِيدِ : لَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ أَنْ يُسَيَّءَ الْمَرْءُ مُعَامَلَةَ الْخَدَمِ، بَلْ أَتَى الْإِسْلَامُ دَاعِيًا إِلَى الرَّحْمَةِ بِهِمْ وَحُسْنِ مُعَامَلَتِهِمْ. وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيَّ يَضْرِبُ خَادِمَهُ فَقَالَ لَهُ: " اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْعُلَامِ " [مسلم].

٦ - الرَّحْمَةُ بِمَنْ عَاهَدْتَ مِنَ الْأَعْدَاءِ : يَضْرِبُ الْإِسْلَامُ

أَرْوَعَ الْأَمْثَلَةِ فِي مُعَامَلَةِ الْأَعْدَاءِ طَالَمَا أَنَّ هُنَاكَ مَوَاقِيقَ وَعُهُودًا
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ.

وَعِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ أَحْسَنَ الرَّسُولُ ﷺ مُعَامَلَةَ كُفَّارِهَا،
فَعَفَا عَنْهُمْ قَائِلًا: " اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ " [ابن إسحاق].

* وَهُنَاكَ عَوَامِلُ تُكَثِّرُ مِنْ رَحْمَةِ الْإِنْسَانِ بِالنَّاسِ، مِنْهَا:

١ - الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَعَدَمُ الْإِشْرَاقِ بِهِ: إِنَّ الشُّرْكَ بِاللَّهِ
يُورِثُ الْقَلْبَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، فَالْمُشْرِكُ بِاللَّهِ لَا يَرْحَمُ نَفْسَهُ،
فَكَيْفَ يَكُونُ رَحِيمًا بِغَيْرِهِ؟!

وَمَنْ كَانَ مُشْرِكًا قَاسِيَ الْقَلْبِ يُبَدِّلُ اللَّهُ قَسْوَتَهُ رَحْمَةً
وَعَطْفًا إِذَا مَا تَابَ إِلَيْهِ وَأَمَّنَ بِهِ.

٢ - بِرُّ الْوَالِدَيْنِ: لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِرَّ الْوَالِدَيْنِ
وَطَاعَتَهُمَا مِنْ طَاعَتِهِ، فَقَرَنَ بَيْنَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ وَبَيْنَ
عِبَادَتِهِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

٣ - الْقُدُوءُ: إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَفُوتُهُ أَنْ يَفْتَدِيَ بِالرَّسُولِ
وَصَحَابَتِهِ الْكَرَامِ، فَهُوَ ﷺ قُدُوتُنَا فِي الرَّحْمَةِ الَّتِي أُرْسِلَ

لِلنَّاسِ بِهَا. يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأخزاب: ٢١]. وَيَصِفُهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَائِلًا: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

٤ - تَذَكَّرُ قُدْرَةَ اللَّهِ : اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، إِلَّا أَنْ رَحْمَتُهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، فَقَدْ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ. يَقُولُ ﷺ: "إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ" [البخاري].

٥ - الصَّوْمُ : لَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ الصَّوْمَ تَهْذِيبًا لِنَفْسِ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُ يَشْعُرُ الصَّائِمُ بِجُوعِ الْفَقِيرِ وَعَطْشِهِ، فَيَلِينُ قَلْبُهُ لَهُ، وَيَرْحَمُهُ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ وَصَحَابَتُهُ كَثِيرِي الصَّوْمِ، فَلَانَتْ قُلُوبُهُمْ وَانْتَصَفُوا بِالرَّحْمَةِ.

٦ - التَّوَاضُّعُ : مِنْ خُلِقَ الْمُسْلِمُ أَنْ يَكُونَ مُتَوَاضِعًا، فَلَا يَسْمَحُ لِلتَّكَبُّرِ أَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَى نَفْسِهِ، إِيْمَانًا مِنْهُ بِأَنَّ الْكِبْرِيَاءَ لِلَّهِ وَحْدَهُ. يَقُولُ ﷺ: "لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ شَيْءٌ مِنَ الْكِبْرِ" [أحمد].

وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُنَا آيَةً فِي التَّوَاضُّعِ، فَهُوَ الْقَائِلُ: "لَا

تُعْظَمُونِي كَمَا تُعْظَمُ الْأَعَاجِمُ مُلُوكَهَا، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ (اللَّحْمَ الْجَافَ) بِمَكَّةَ " [ابن ماجه].

٧ - قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ : لَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ كِتَابَهُ نُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِي تِلَاوَتِهِ وَتَدْبِيرِ آيَاتِهِ شِفَاءً لِّلْقُلُوبِ.

يَقُولُ رَبُّنَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

كَمَا يَقُولُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

٨ - التَّسَامُحُ وَالصَّبْرُ : لَيْسَ هُنَاكَ أَدْلُ عَلَى رَحْمَةِ الْمَرْءِ مِنْ تَسَامُحِهِ مَعَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، وَعَبَّرَ الْقُرْآنُ عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٤].

وَعَبَّرَ الشَّاعِرُ عَنِ التَّسَامُحِ بِقَوْلِهِ:

كُنْ كَالنَّخِيلِ عَنِ الْأَخْفَادِ مُرْتَفِعاً

يُرْمَى بِصَخْرٍ فَيُلْقِي أَطْيَبَ الثَّمَرِ

* * *

ثَمَارُ الرَّحْمَةِ بِالنَّاسِ

١ - وَحْدَةُ الْمُجْتَمَعِ وَقُوَّتُهُ : الْمُجْتَمَعُ الَّذِي يَتَخَلَّقُ أَفْرَادُهُ بِالرَّحْمَةِ يَكُونُ قُوِيًّا مُتَّحِدًا ، فَالْمُجْتَمَعُ الَّذِي يَعْطِفُ كَبِيرُهُ عَلَى صَغِيرِهِ ، وَغَنِيُّهُ عَلَى فَقِيرِهِ يَكُونُ قَادِرًا بِأَفْرَادِهِ عَلَى التَّصَدِّي لِلشَّدَائِدِ وَمُوَاجَهَةِ الْمِحَنِ .

٢ - ثَوَابُ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ : يُدْخِلُ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدَهُ الَّذِي يَرْحَمُ النَّاسَ جَنَّاتِ الْخُلْدِ بِنِعْمِهَا الْمُقِيمِ . فَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ تَعَالَى أَحَدَ عِبَادِهِ مَالًا وَفِيرًا فَقَالَ لَهُ : " مَاذَا عَمَلْتَ فِي الدُّنْيَا ؟ فَقَالَ : يَا رَبِّ ، آتَيْتَنِي مَالًا فَكُنْتُ أَبَايَعُ النَّاسِ ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ ، فَكُنْتُ أَيْسَرُ عَلَى الْمَوْسِرِ ، وَأَنْظَرُ الْمُعْسِرَ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ : أَنَا أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي " [مُسْلِمٌ] .

وَهَكَذَا ، فَقَدْ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ جَزَاءَ رَحْمَتِهِ بِالنَّاسِ .

كُنْ رَحِيمًا بِالْحَيَوَانَ وَالطَّيْرِ

تَشْمَلُ رَحْمَةُ الْمُسْلِمِ كَافَّةَ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ ، فَالرَّحْمَةُ لَا تَكُونُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْبَشَرِ وَحْدَهُمْ ، بَلْ تَمْتَدُّ إِلَى الْحَيَوَانَ وَالطَّيْرِ ، وَيَنَالُ الْمُسْلِمُ بِذَلِكَ خَيْرًا كَثِيرًا .

١ - فِي الْبَهَائِمِ أَجْرٌ : ذَاتَ يَوْمٍ سَأَلَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِلًا : " إِنْ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لِأَجْرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَأَجَابَهُ ﷺ بِقَوْلِهِ : " نَعَمْ ، فِي كُلِّ ذَاتٍ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ " [البخاري].

٢ - رَحْمَةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اقْتَدَى الصَّحَابَةُ بِالرَّسُولِ الْكَرِيمِ فِي الرَّحْمَةِ بِالْحَيَوَانِ وَالطَّيْرِ ، حَتَّى إِنَّ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ : " لَيْتَ أُمُّ عُمَرَ لَمْ تَلِدْ عُمَرَ ، فَلَوْ أَنَّ بَغْلَةً بِالْعِرَاقِ تَعَثَّرَتْ لِحَاسِبَنِي اللَّهُ عَلَيْهَا ، لِمَ لَمْ تُمَهِّدْ لَهَا الطَّرِيقَ يَا عُمَرَ " ، وَأَخَذَ يَبْكِي حَتَّى ابْتَلَتْ لِحِيَّتُهُ مِنَ الدَّمُوعِ

* وَهُنَاكَ عَوَامِلُ تُكْثِرُ مِنْ رَحْمَةِ الْإِنْسَانِ بِالْحَيَوَانِ ، مِنْهَا :

١ - تَقْوَى اللَّهِ : لَكِي يَتَكَوَّنَ خُلُقُ الرَّحْمَةِ بِالْحَيَوَانِ عِنْدَ الْمُسْلِمِ فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ بِذَلِكَ يُرْضِي اللَّهَ عَنْهُ ، فَاللَّهُ رَحِيمٌ يُحِبُّ عَبْدَهُ الرَّحِيمَ بِمَخْلُوقَاتِهِ .

٢ - الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ : إِذَا خَافَ الْمُسْلِمُ عِقَابَ اللَّهِ ، فَلَنْ تَجِدَهُ يَفْسُقُ عَلَى حَيَوَانٍ أَوْ طَيْرٍ ، فَهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ تُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهَا ، وَقَدْ خَلَقَهَا اللَّهُ وَسَخَّرَهَا لَنَا لِيَكْتَمِلَ إِعْمَارُ الْكَوْنِ .

٣ - الْإِفْتِدَاءُ بِالرَّسُولِ وَالصَّحَابَةِ : فَلَا يَكْتَمِلُ إِيمَانُ
الْمَرْءِ إِلَّا إِذَا اقْتَدَى بِأَخْلَاقِ الرَّسُولِ ﷺ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِهِ ﷺ
الرَّحْمَةُ بِالْحَيَوَانِ وَالطَّيْرِ.

ثِمَارُ الرَّحْمَةِ بِالْحَيَوَانِ وَالطَّيْرِ

١ - رِقَّةُ الْقَلْبِ وَرَهَافَةُ الْحِسِّ : الْمَرْءُ الَّذِي يَرْحَمُ
الْحَيَوَانَ، وَيَرْفُقُ بِهِ، يَكُونُ رَقِيقَ الْقَلْبِ، عَطُوفًا، مُرْهَفَ
الْحِسِّ، وَيَجْنِي مِنْ ذَلِكَ ثَمَرَةَ مَحَبَّةِ النَّاسِ وَتَقْدِيرِهِمْ لَهُ.

٢ - الْإِسْتِفَادَةُ مِنْهَا بِقَدْرِ أَكْبَرٍ : إِذَا مَا تَخَلَّقَ الْمَرْءُ
بِالرَّحْمَةِ بِمَا يُوجَدُ حَوْلَهُ مِنْ حَيَوَانٍ وَطَيْرٍ، أَمْكَنَهُ أَنْ يَسْتَفِيدَ
مِنْهَا اسْتِفَادَةً عَظِيمَةً، حَيْثُ لَا تُصَابُ بِالتَّعَبِ السَّرِيعِ أَوْ
الْإِرْهَاقِ الشَّدِيدِ.

٣ - ثَوَابُ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ : يُحْسِنُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى عَبْدِهِ الرَّحِيمِ بِالْحَيَوَانِ وَالطَّيْرِ، فَيَهْنَأُ بِالْجَنَّةِ،
وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا يَغْرِسُ
رَجُلٌ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ سَبْعٌ أَوْ طَيْرٌ أَوْ شَيْءٌ
إِلَّا وَكَانَ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ " [مُسْلِم].

لَا تَكُنْ قَاسِيًا

الْقِسْوَةُ ضِدُّ الرَّحْمَةِ، وَهِيَ غَلْظَةُ الْقَلْبِ، وَعَدَمُ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَالتَّهَاقُوتُ بِالْآخَرِينَ، وَالْعَمَلُ عَلَى إِثْدَانِهِمْ. وَالْقِسْوَةُ خُلِقَ ذَمِيمٌ، يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيَكُونُ عِقَابُ صَاحِبِهِ شَدِيدًا، لِقِسْوَتِهِ بِمَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَإِثْدَانِهِ لَهُمْ. وَمِنْ صُورِ الْقِسْوَةِ:

١ - الْقَلْبُ الْقَاسِي: أَنْ يُعْرِضَ الْمَرْءُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَيَحِيدَ عَنْ مَنْهَجِهِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِمَّنْ ذَكَرَ اللَّهَ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

٢ - الإِصْرَارُ عَلَى الْكُفْرِ: الْمَصِرُّ عَلَى الْكُفْرِ يَكُونُ قَاسِيًا طَرِيدًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَهُوَ لَا يَقْبَلُ أَنْ يَسْمَعَ إِلَى صَوْتِ الْحَقِّ وَيُصِرُّ عَلَى ضَلَالِهِ. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ فَلَوْلَا إِذَا جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢ - ٤٣].

٣ - نَقْضُ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ: إِذَا خَانَ الْمَرْءُ مَنْ عَاهَدَ مِنَ النَّاسِ وَنَقَضَ مِيثَاقَهُ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ، يَكُونُ قَاسِيًا، وَيَتَجَنَّبُ النَّاسُ

مُعَامَلَتُهُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَهْلًا لِلثَّقَةِ. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ
مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

٤ - لَا رَحْمَةً لِلْقَاسِي : مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ، لَا يَسْتَحِقُّ
رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ، حَيْثُ يَكُونُ جَزَاءُهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ. يَقُولُ
ﷺ: "لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ" [البخاري].

٥ - فَضُولُ الْكَلَامِ : الْمُسْلِمُ يُزِينُ كَلَامَهُ دَائِمًا بِذِكْرِ اللَّهِ،
وَيَحْفَظُ لِسَانَهُ؛ فَهُوَ يُدْرِكُ مَتَى يَتَكَلَّمُ، وَمَتَى يُنْصِتُ. قَالَ ﷺ:
"إِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بَغِيرُ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ" [الترمذي].

٦ - الْكَرَاهِيَّةُ مِنَ النَّاسِ : لَا تَجِدُ جَبَّارًا قَاسِيًا إِلَّا وَقَدْ نَالَ
كَرَاهِيَةَ النَّاسِ وَبُغْضَهُمْ لَهُ.

٧ - الْبُعْدُ مِنَ اللَّهِ : فَاللَّهُ يُعَاقِبُ الْقَاسِي وَيُنْزِلُ بِهِ عَذَابَهُ؛
حَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَرَعْ حَقَّ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ. قَالَ ﷺ: "إِنَّ
الْقَلْبَ الْقَاسِيَّ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ" [مالك].

إِعْرِفْ نَفْسَكَ.. هَلْ أَنْتَ رَحِيمٌ؟

ماذا تفعل لو:

١ - كُنْتَ مُتَأَخِّرًا عَنِ الْعَمَلِ وَرَأَيْتَ أَعْمَى يُرِيدُ عُبُورَ الطَّرِيقِ؟

٢ - وَجَدْتَ صَدِيقًا لَكَ يَخْبِسُ طُيُورًا فِي أَقْفَاصٍ بِمَنْزِلَةٍ
لِلزَّيْنَةِ؟

٣ - عَلِمْتَ أَنَّ طِفْلًا يَتِيمًا لَا يَسْتَطِيعُ شِرَاءَ ثِيَابٍ جَدِيدَةٍ لِيَحْتَفِلَ
بِالْعِيدِ مَعَ أَقْرَانِهِ مِنَ الْأَطْفَالِ؟

٤ - عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدَ أَقَارِبِكَ لَا يَتْلُو الْقُرْآنَ وَلَا يَتَدَبَّرُ مَعَانِيَهُ؟

٥ - صَعَدَ أَحَدُ كِبَارِ السَّنِ الْأَثْوَيْنِ وَأَنْتَ جَالِسٌ وَلَا يُوجَدُ
مَقْعَدٌ شَاغِرٌ لَهُ؟

٦ - عَاهَدْتَ أَحَدَ الْكُفَّارِ عَلَى السَّلَامِ وَالْأَمْنِ؟

٧ - كَانَ لَدَيْكَ خَادِمٌ بِمَنْزِلِكَ، وَسَقَطَ مِنْهُ كُوبُ الشَّايِ عَلَى
ثِيَابِكَ وَهُوَ يُقَدِّمُهُ لَكَ؟

٨ - سَمِعْتَ إِنْسَانًا يَشْكُو قِلَّةَ الرِّزْقِ وَضِيقَ الْعَيْشِ؟

٩ - عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدَ جِيرَانِكَ يَقْسُو عَلَى بَنَاتِهِ فِي حِينٍ يُحْسِنُ
مُعَامَلَةَ أَبْنَائِهِ الذُّكُورِ؟

١٠ - مَكَنَّتَكَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ شَخْصٍ كَانَ يُوْذِيكَ وَيَقْسُو
عَلَيْكَ؟

* * *

سلسلة كن

١	كن طائعاً	١٢	كن متواضعاً	٢٤	كن رفيقاً
٢	كن عفواً	١٣	كن مؤثراً	٢٥	كن متوكلاً
٣	كن كريماً	١٤	كن عادلاً	٢٦	كن مستقيماً
٤	كن متعاوناً	١٥	كن أميناً	٢٧	كن معتدلاً
٥	كن وفياً	١٦	كن عفيفاً	٢٨	كن شاكراً
٦	كن تائباً	١٧	كن نصوحاً	٢٩	كن عزيزاً
٧	كن راضياً	١٨	كن صادقاً	٣٠	كن متفائلاً
٨	كن زاهداً	١٩	كن كتوماً	٣١	كن مضحياً
٩	كن صابراً	٢٠	كن متأنياً	٣٢	كن باراً
١٠	كن مشاوراً	٢١	كن مخلصاً	٣٣	كن حياً
١١	كن محباً	٢٢	كن حليماً	٣٤	كن شجاعاً
		٢٣	كن ورعاً		